أسباب محبة الله تعالى لعباده

في القرآن الكريم

ـ دراسة عقائدية ـ

د. محمد سلمان داود
جامعة الأنبار

Abstract :

The research deals with the reasons that lead to the love of Allah and that if a human does not have a true doctrine based on it will not result in the deeds or attributes that are characterized by the love of Allah Almighty even if those qualities he holds are qualities that Allah loved because this love no one mastered Who handed over his intention and realized his mind of the consequences of the conditions and traditions ,and that made this research has a great fragrance is the blessing of the Quranic testimonies and Hadith and the equivalent of the sayings of the scientists ,may Allah have mercy on them.

المبحث الأول : معنى المحبة

المطلب الأول/ دليل محبة الله عزوجل للعبد في القرآن الكريم والسنة المطهرة

المطلب الثاني/ نظرة في أقوال أهل العلم في محبة الله عزوجل للعبد

المبحث الثاني : محبة الله جل جلاله للعبد على مدى إتباع الرسول ﷺ

المطلب الأول/ معنى الإتباع لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ إتباع السنة المطهرة بالأقوال والأفعال سببا بمحبة الله عزوجل للعبد

المبحث الثالث : صور الإحسان وفيه عدة صور

المطلب الأول / الإحسان لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ صورة الإنفاق من الإحسان

المطلب الثالث/ صورة الكظم والعفو من الإحسان

المطلب الرابع/ صورة الأخلاق والعقيدة من الإحسان

المبحث الرابع : صورة المتقين

المطلب الأول/ تعريف المتقين لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ صفة المحبين من المتقين

المبحث الخامس : صورة الصابرين

المطلب الأول/ تعريف الصابرين لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ عقيدة الصابرين

المطلب الثالث/ صور الصبر

المطلب الرابع/ الجزاء

المبحث السادس : صورة المتوكلين

المطلب الأول/ التوكل لغة واصطلاحا

المطلب الثاني/ التوكل صفة المؤمنين
المطلب الثالث/ حركة العبد في أحوال التوكل
المبحث السابع : صورة التائبين
المطلب الأول/ التوبة لغة واصطلاحا
المطلب الثاني/ التائبين وأحوالهم
المطلب الثالث/ فضائل التائبين
المبحث الثامن : صورة العدل
المطلب الأول/ المقسطين لغة واصطلاحا
المطلب الثاني/ منابر النور
المطلب الثالث/ العدل يقتضي القوة والأمانة
المبحث التاسع : طهارة القلوب والأجساد
المطلب الأول/ المتطهرين لغة واصطلاحا
المطلب الثاني/ علامة الفرق بين المتطهرين والمطهرين
الخاتمة
المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،غافر الذنب، قابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلاَّ هو إليه المصير الذي جعل رحمته قريباً من المحسنين، ويسّر السبيل للطائعين، وأبعد محبته عن المسرفين، وحرس أحبابه بالذكر عن أن يكونوا من الغافلين، وكانت رحمته أوسع للتائبين، ومغفرته أرجى للسائلين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد؛ فقد أعلم الله تعالى عدوه إبليس أنّهُ لا يسلم عباده إليه، ولا يسلطه عليهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[1]، فلم يبق للّعين إلا أن يحاول غواية من لم يخلص دينه لله، قال تعالى:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2]، كلما قرأت هذه النصوص الكريمة، أهم بنية صادقه إلى أن أبين في بحث موجز حقيقة هؤلاء المخلصين وعقيدتهم وصفاتهم التي نالوا بها أعلى الرتب وبلغوا من خلالها محبة الله تعالى إياهم، فعقدت العزم بعد التوكل على الله في كتابة هذا البحث وجعلته بعنوان (أسباب محبة الله لعباده في القرآن الكريم – دراسة عقائدية–)، ولاسيما أن هذا الموضوع– فيما بحثت عنه واستقصيت من وسائل البحث المتاحة – لم يتطرق إليه بما يجمع تلك الصفات باحث، إلا أني وجدت بعض العلماء بين فقط الآيات القرآنية في ما يحب الله عزوجل وما يبغضه جل جلاله . فانطلقت

(١) سورة الحجر:٤٢.

(٢) سورة الحجر: ٣٩-٤٠.

من هذا المنطلق بأن أضع بين يدي القارئ هذه الوقفات الروحانية وان أجمع له هذه الصفات أو الصور العظيمة التي يحبها الله عزوجل في عباده بخطة بحث واحده يسهل له الرجوع على هذه الصور العظيمة التي تقرب العبد من محبته جل شأنه العظيم، وقد ركزت في جانب القلب الذي هو محل العقيدة الصحيحة عند هؤلاء التي أحبها الله عزوجل إذ اطلع الجبار جل شأنه على قلوب هؤلاء فرآها صادقة موحدة له جل شأنه فأحبهم الله عزوجل، فزادهم بهذه المحبة - وأراد لهم - التوفيق في الدنيا بهذه الإعمال النيرة، وأثابهم بالمغفرة والرضا يوم القيامة، ورأيت أن كل إنسان محتاج إلى أن يدرك هذه الصور العظيمة، ولاسيما في يومنا هذا الذي كثر فيه الخبث، وتعاظمت فيه الغفلة عن الله عزوجل، مع علمنا أن علماء هذه الأمة قد نبّهوا على الحدود والحواجز التي وضعها الله عزوجل ونبيه الأكرم وبيّنوها خشية من أن يقع في وديان الهلاك الغافلون، إلاَّ أننا نرى في يومنا كثيراً منهم من تجاوز هذه الحواجز العقدية وباع نفسه بأبخس الأثمان فخسر الدنيا والآخرة، وأسأل الله عزوجل أن ينفع بهذا العمل إخوتي الطالبين طريق الحق وأرجو أن يكون واعظا لي من غفلتي أولا، وحسبي إني أخلصت النية لله تعالى في هذا العمل راجيا وجهه العظيم، وعسى أن يسهل للقارئ قراءته وينفع به فإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأن أصبت فأسأل الله عزوجل العفو والغفران .

المبحث الأول
معنى محبة الله تعالى للعبد

فإنَّ من دواعي المحبة ومتعلقها إذا قويت ثلاثة أمور (وصف المحبوب وجماله، وشعور المحب به، والمناسبة التي هي العلاقة بين المحب والمحبوب)[1]، فمتى قويت هذه الثلاثة وكملت قربت المحبة واستحكمت أي إن كان المحبوب في غاية الجمال، وشعور المحب بجماله أتم شعور، والمناسبة بين الروحين، فذلك هو الحب اللازم، ولا شك أن المحبوب أحلى في عين محبه واكبر في نفسه من غيره فهذا قول عزة حينما دخلت على الحجاج فقال لها: يا عزة والله ما أنت كما قال فيك كُثير[2] وقال :

فـوَ اللَّه لا أَدْرِي أزيــدت ملاحة وحسنا على النسوان أم لَيْسَ لي عقل[3]

فمحبته سبحانه وتعالى هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّه)[4].

المطلب الأول : ما ورد من الآيات والأحاديث في المحبة:

أولاً : من الأدلة على محبة الله تعالى لعبادة في القران الكريم، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]، فهذه إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها إتباع

(١) روضة المحبين، ابن القيم : ٤٢ .
(٢) ينظر: روضة المحبين، ابن القيم:٤٢ بتصرف.
(٣) ينظر: روضة المحبين، ابن القيم:٤٢ بتصرف.
(٤) سورة البقرة : ١٦٥.
(٥) سورة آل عمران: ٣١.

الرسول ﷺ، وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة ومحبته لكم منفية[1]، وهذه إشارة يسيرة إلى ما جاء في القرآن الكريم على ثبوت صفة المحبة لله تعالى.

ثانيا: ما ورد من الأحاديث الكريمة في صفة المحبة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جبْرِيلُ، فَيُنَادِي جبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ)) [2]، وجاء من حديث الرسول ﷺ يوم خيبر بقوله: ((لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ))[3]، من استقراء الحديثين الشريفين يتبين إثبات محبة الله عزوجل للعبد وصفة أثره في العبد من خلال محبته سبحانه وتعالى بأن يكرمه ويثبته ويجعل النصر والهداية على يده فكانت هذه نتيجة المحبة التي بها تستقيم النفس وتصون تلك المحبة من مشتبهات الأمور(وإن المحبة صفة من صفات الباري عزوجل، الفعلية الاختيارية التي تتعلق بمشيئته سبحانه، والنصوص الواردة من الكتاب والسنة في إثبات هذه المحبة)[4].

المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في محبة الله عزوجل للعبد:

أجمع العلماء من سلف الأمة على إثبات محبة الله عزوجل لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، والله عزوجل موصوف بها على الوجه الذي يليق بجلاله العظيم- إلا بعض الفرق[5](*)

(١) ينظر فتح الرباني، عبد القادر الكيلاني :٢٩٠ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الرحمة، ٤/ ١١١، رقم ٣٢٠٩ .
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبيﷺ، ٤/ ٥٣، رقم ٢٩٧٦ .
(٤) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة، محمد إسحاق كندو، ٢ / ٩١٢.
(٥) من هذه الفرق الجهمية والمعطلة .

الذين أنكروا صفة المحبة لله عزوجل، وإن محبته لا تشابه محبة خلقه سبحانه، كما أن إرادته لا تشابه إرادة خلقه جل جلاله [1]، قال تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]، كما (أن المحبة صفة من صفات الباري عزوجل، الفعلية الاختيارية التي تتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى) [3]، قال الحافظ ابن حجر(المراد بمحبة الله عزوجل إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له) [4]، ونقل عن القرطبي (إن محبة الله عزوجل لعبده تقريبه له وإكرامه) [5]، كما نقل البيهقي (أن المحبة والبغض عندنا من صفات الفعل فمعنى محبته هو أكرام من أحبه، ومعنى يبغضه هو أهانته، وهما عند الأشاعرة يرجعان إلى الإرادة، فمحبة الله المؤمن ترجع إلى إرادته إكرامهم وتوفيقهم) [6]، وقال ابن تيميه عن الإرادة والمحبة وما دلالة الربط بينهما بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ ﴾[8]، فإنها: (تدل على حصول إرادة مستقبله ومشيئته مستقبله) [9]، وكذلك في المحبة والرضا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[10]، فانه يدل اتهم إذا اتبعوه أحبهم الله تعالى لأنه جزم قوله تعالى (يحببكم) به

(١) منهج الحافظ في العقيدة، محمد إسحاق كندو، ٢ / ٩١٣ .
(٢) سورة الشورى، ٧.
(٣) منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة، محمد إسحاق كندو، ٢ / ٩١٢.
(٤) ينظر: الإحياء، الغزالي،٤/ ٢٧٧، وفتح الباري، ابن حجر، ١٠/ ٢٦.
(٥) الأسماء والصفات، البيهقي، ٦٣٧، وينظر: الإبانة عن أصول الديانة، ١٤٦ – ١٤٧.
(٦) فتح الباري، ١٣/ ٣٥٧- ٣٥٨ .
(٧) سورة يس: ٨٢ .
(٨) سورة الرعد: ١١ .
(٩) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ٣ / ١٣٦.
(١٠) سورة آل عمران : ٣١.

فجزمه جوابا للأمر، وهو معنى الشرط فتقديره(إن تتبعوني يحببكم الله)، ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله[1] . والآيات القرآنية الكريمة التي جاءت بمحبة الله عزوجل لعباده المؤمنين تدل على أن سبب هذه المحبة هذه الأعمال، وهي جزاء لها وإنما الجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب[2]، وأن الذي تحقق لنا من أقوال العلماء في المحبة إن محبة الله عزوجل لعباده من خلال هذه الآيات القرآنية الكريمة إنما تكون بشرط، وهذا الشرط لا يكون لهم الجزاء إلاّ بعد إيمانهم وإتقانهم هذا الشرط الذي يذكر مع الآية القرآنية الكريمة. فمثلا قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فإنها قيدت هذا الجزاء ألا وهو محبة الله عزوجل، بإتباع نبيه ﷺ. ثم يزيد سبحانه إكراما لهم وتوفيقا وشرفا ونصرا لهم، وان بغضه لهم جزاء ما ارتكبوه من الأعمال الخبيثة، فكانت إرادته سبحانه وتعالى تقتضي أن يهينهم ويبغضهم، كذلك الدليل في حديث فتح خيبر بقول الرسول ﷺ عند تسليم الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وما نتج عن محبة على رضي الله عنه لله ورسوله، من محبة الله ورسوله له، فأكرمه الله تعالى وزاده بهذه المحبة توفيقا ونصرا على عدوه بهذا الفتح العظيم، إذن كان هذا جزاءهم، من جنس عملهم. ولما مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل رضي الله عنه يبكي عند قبر الرسول ﷺ فقال له عمر: ما يبكيك ؟ قال معاذ: يبكيني سمعت الرسول ﷺ يقول: ((اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الإبرار الأتقياء الاخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وأن حضروا لم يعرفوا قلوبهم

(١) مجموعــة الفتاوى، ابن تيمية، ٣/ ١٣٦.
(٢) ينظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ٣ / ١٣٦.

مصابيح الهدى،يخرجون من كل غبراء مظلمة))[1]، فهذا الحديث يدل على إن محبته لهم كانت بخصوص تلك الأعمال التي يحبها الله عزوجل فزادهم على ذلك الحب بأن أراد أن يكرمهم ويوفقهم ويرضى عنهم فخصهم برعايته وفضله وجعلهم في معيته وهذا كله كان بزيادة محبته لهم سبحانه فإن هذا هو أضح الأقوال التي تجمع بين هؤلاء العلماء التي ذكرناها سابقا والله اعلم بالصواب .

المبحث الثاني : محبة الله تعالى للعبد على مدى إتباعه للرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

المطلب الأول: معنى الإتباع لغة واصطلاحاً:

لغة:(الإتباع أي اتبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال، وتبعت الشيء تبوعا أي سرت في أثره)[3]، أي تتبع السنة بالأقوال والأفعال والأحوال .[4]

اصطلاحا : وإتباع ألسنه بمعنى الطريقة المسلوكة في الدين والسنة هي التي واظب عليها الرسول ﷺ فان كانت المواظبة على سبيل العبادة فسنن الهدي وان كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد، فسنة الهدي ما يكون إقامتها تكميلا للدين وتتعلق بتركها كراهة أو إساءة، وسنة الزوائد هي التي أخذها هدي ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، ١/ ٤٤، رقم ٤، وقال هذا حديث صحيح ولم تحفظ له عله.

(٢) سورة آل عمران : ٣١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٢٧.

(٤) ينظر التعريفات، للجرجاني، ١٩ – ٧١ .

كسير النبي ﷺ في قيامه وقعوده ولباسه واكله[1].

المطلب الثاني : متابعة الرسول ﷺ سبب لمحبة الله عزوجل للعبد:

لا تكمل محبة الله عزوجل للعبد إلاَّ بإتباع السنة النبوية الشريفة وهذا مصدر قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾، والمحبوبون ثلاثة أقسام منهم من يريد من المحبوب ومنهم من يريد المحبوب، ومنهم من يريد مراد المحبوب مع إرادته للمحبوب، وهذا على أقسام المحبين، وزهد هذا على أنواع الزهد، فانه قد زهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبة[2]، وهذا إنما يحصل- كما هو مبين من كلام العلماء-بكمال المتابعة للرسول ﷺ، فلهذا جعل متابعة الرسول ﷺ سببا لمحبتهم لهجل جلاله (وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله، ليس من الشأن إن نحب الله عزوجل ولكن الشأن أن يحبك الله جل جلاله، فان الطاعة للمحبوب عنوان محبته)[3] .

وقال الشاعر في ذلك :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته إن المحب لمن يحب مطيع[4]

فإن محبة العبد لله تعالى أيثار طاعته على غير ذلك، ومحبه الله عزوجل العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله، فقد جاء عن الحسن البصري: (زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ

(١) ينظر : التعريفات، للجرجاني، ١٩ – ٧١.
(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي ٤ / ٢٧٢ – روضة المحبين / ابن القيم الجوزية ٢٦٥ -٢٦٦ .
(٣) روضة المحبين، لابن القيم، ٢٦٦ .
(٤) ديوان الأمام الشافعي، ص١٤٤.

إنهم يحبون الله عزوجل، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فمن ادعى محبته عزوجل وخالف سنة رسوله ﷺ فهو كذاب وكتاب الله عزوجل يكذبه)[1]. وقيل محبة الله عزوجل معرفته ودوام خشيته، وقيل إتباع النبي في أقواله وأفعاله وأحواله، فإن العبد دائما مضطر إلى أن يهديه الله جل جلاله إلى الطريق المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، أي بالهداية فإن لا وجود للسعادة الحقيقة ولا يسعك حب الله عزوجل إلا بحبك لرسوله ﷺ قولا وفعلا وعملا؛ لأنه الهادي إلى الطريق المستقيم وسنته شملت جميع (الطاعات والمكارم والخصال المحمودة وما اشتملت عليه من العبادة)[2]، وإن هذه المتابعة لا تتحقق إلا بالإخلاص، فهي التي ضمنت له النجاة والسعادة[3]، فعن الرسولﷺ أنه قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[4]، فإن تجسيد هذه المحبة الخالصة للرسول ﷺ هو أن نبرهن للناس الأصدقاء قبل الأعداء، إن إتباع السنة المطهرة ليس بالتقليد فقط وإنما بالعمل الخالص؛ لأن الأعمال من الأيمان، وأن المحبة عمل القلب وأن محبة الرسول ﷺ واجبة وهي تابعة لمحبة الله عزوجل وإنها تزيد بزيادة محبة الله عزوجل في القلب، وتنقص بنقصها، ومن المستقصي لحال الناس هذا اليوم نراهم إنهم يظنون أن محبة الرسول ﷺ بحبه في اللسان فقط، ولكن المحبة الخالصة المشروطة بحب الله للعبد بإتباعه سنة المصطفى قولا وفعلا وعملا، والتجسيد الأساس لمحبة الله عزوجل لعبده فأن الآية الحاكمة على كل من ادعى

(١) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ، ١ / ٢١٣.
(٢) التفسير الكبير، ابن تيمية، ٢ / ٣٣٥.
(٣) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ١ / ٥ .
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ من الأهل والولد، ١/ ٦٧، رقم ٤٤.

محبة الله عزوجل، وليس على الطريقة المحمدية فأنه كاذب في الأمر نفسه، حتى يتبع الشرع المحمدي[1]، والآية الحاكمة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وخلاصة القول: إن الله عزوجل يحب العبد إذا أتقن هذا الشرط وهو الإتباع للسنة المطهرة، فإذا أتقن هذا الشرط حصل للعبد محبة من الله عزوجل ويحصل فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، قال تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)[2] .

المبحث الثالث :- الإحسان وفيه عدة صور:

المطلب الأول الإحسان لغة واصطلاحاً :

لغة : من الحسن ضد القبيح ونقيضه، وقال الأزهري: (الحسنى نعت لما حسن وحسن يحسن حسناً، فهو حاسن وحسن، وقال الجوهري والجمع محاسن على غير قياس فإنه جمع محسن)[3].

اصطلاحاً:هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفا بصفاته بعين صفته فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة، ولهذا قال الرسول ﷺ (كأنك تراه)؛ لأنه يراه من وراء حجب صفاته فلا يرى الحقيقة بالحقيقة؛ لأنه تعالى هو الداعي وصفة لوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح [4].

(١) ينظر : الإحياء ، الغزالي، ٤/ ٢٧٧، مختصر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١ / ٣٢٧ .
(٢) سورة النساء: ٨٠ .
(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ١٦٤.
(٤) ينظر: التعريفات، للجرجاني، ١٥ .

المطلب الثاني: صور الإنفاق من الإحسان:

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، إن هذه الآية القرآنية الكريمة عنيت في صورة من صور الإحسان التي أحبها الله عزوجل في قلوب عباده المؤمنين، فإنها من أجل وأعلى مقامات الطاعات فجاءت الآية القرآنية تحث على الإنفاق وقابلت هذه الآية الطاعة بالإحسان؛ لأن عظم الشيء لذاته يؤدي إلى المدلول، وإن الإحسان عند الله عزوجل هو من أسمى الطاعات كما قال عنه ﷺ في حديث جبريل عزوجل لقوله وما الإحسان؟ قال ﷺ : ((أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)) [2]. وإن مضمون الآية (هو الأمر بالإنفاق في سبيل الله عزوجل وجوه القربات والطاعات، وخاصة صرف المال في قتال الأعداء فيما يقوي المسلمون على عدوهم وجاء إن تركه هلاك وضياع، ثم عطف بالأمر بالإحسان) [3]، وقارنه بأعلى مقامات الطاعة فان المتدبر للقرآن الكريم و كانت صفته ألاحسان يعلم يقينا إن الله عزوجل يراه في السر والعلانية وإنها من صفات المؤمنين فسيكون نصيبهم رضا الله عزوجل، وجعل حبه للمحسن وجعل من مقامات هذا الإحسان كالذي ينفق في السر والعلانية فإنها صفتان متلازمتان وهذا ما يؤيده قوله تعالى الذي يبين صفة أهل الجنة قال تعالى]الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ([4]، أي في الشدة والرخاء والصحة والمرض وفي جميع الأحوال لا يشغلهم أمر عن طاعة الله وهو الإنفاق الذي هو مقام من

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي(ﷺ) عن الإيمان والإسلام والإحسان، ١/ ٢٧، رقم٥٠ .

(٣) مختصر ابن كثيـــر ، ١٤ / ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران : ١٣٤ .

مقامات الإحسان[1]. فقد جاء الإنفاق ومقابله الإحسان فإنه لولا الإحسان داخل في قلب العبد لما انفق وأحسن على العباد فإنها صورة من صور الجنة وأن المنفق ينفق ماله إحسانا على أقاربه وغيرهم وهو الأنفاق(وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله عزوجل في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء)[2]، فإن الله عزوجل ختم آيات بها آيات القتال والإنفاق التي تزكى بها النفس، وهذا التعقيب الإلهي في قتال العدو والإنفاق جعله مقام من مقامات الإحسان والذي هو أعلى مراتب الإيمان.

المطلب الثلث :صورة الكظم والعفو من الإحسان:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] . وفيه :

أولاً / معنى الكظم لغة واصطلاحاً:

لغة: كظم الرجل غيظه إذا اشتر عه، كظمه، يكظمه، كظماً رده وحبسه، فهو رجل كظيم، والغيظ مكظوم وفي التنزيل العزيز(والكاظمين الغيظ) فسره ثعلب فقال: (الحابسين الغيظ لا يجازون عليه) [4] .

اصطلاحاً: هو الإمساك على ما في النفس على صفح أو غيظ[5]. (والغيظ هو أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه كذا في المفردات وفي المصباح

(١) ينظر: مختصر ابن كثيـر ، أحمد محمد شاكر، ١ / ٣٦٩ .
(٢) روح المعاني، الآلوسي، ٢ / ٢٧٣.
(٣) سورة آل عمران : ١٣٤.
(٤) لسان العرب ، لابن منظور، ١٢ / ٥١٩.
(٥) الغيظ : ويقال هيجان الطبع عند رؤية ماينكر

العصب المحيط بالكبد وهو اشد الخنق)[1].

ثانيا : العفو لغة واصطلاحا.

لغة: (عفا في أسماء الله تعالى هو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه واصله المحو والطمس وهو من أبنية المبالغة يقال عفا يعفو عفوا فهو عافٍ وعفوٌ)[2] .

اصطلاحا:(العفو:هو كل من استحق عقوبة فتركها، فقد عفوت عنه، وعفو الله عن خلقه وهو تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه وهو الفضل أو المعروف الذي يجيء بغير كلفه من قبل الميسور من أخلاق الناس)[3]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : في الآية عن النبي ﷺ :((أن هؤلاء من أمتي إلا من عصم الله تعالى وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت))[4]. فالمراد إن الكاظمين الغيظ قليل في أمتي إلا بعصمة الله تعالى لغلبة الغيظ عليه، وقد كان في الأمم السابقة لقلة حميتهم، ولذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم قليلا فيما بينهم، ولما تمرنت هذه الأمة على الغضب لله تعالى والتزموا الاجتناب عن المداهنة صار إنفاذ الغيظ من عادتهم فلا يكظمون إذا ابتلوا إلا بعصمة الله تعالى[5]، فلما كانت عقيدتهم سامية كانت هذه صفتهم وجعل هذه المقامات وهي الكظم والعفو من أجل مقامات الإحسان السامية في القلب لأنه يطبق فيها سراً وجهراً وهذا ما يضبطه العلماء (فإن من إشعار حسن موقع عفوه ﷺ عن الرماة وترك

(١) روح المعاني، الآلوسي ٢/ ٢٧٣، وينظر التعاريف ١/ ٦٠٤.
(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٣، وينظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٥٩ .
(٣) ينظر التعاريف ١/ ٦٠٤، وروح المعاني الآلوسي / ٢ / ٢٧٣ .
(٤) لم أقف على هذا الحديث في مظانه، وهو في تفسير القرطبي ٤/ ٢٠٧ .
(٥) ينظر: روح المعاني الآلوسي، ٢ / ٢٧٣.

مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفه أمرهﷺ، وندب عليه الصلاة والسلام إلى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوه بسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه حتى قال حين رآه ﷺ: ((لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ كَمِثْلَتِكَ))[1]، فلهذا قال علماء العقيدة ان من كانت هذه صفته سمي قلبه بالقلب السليم لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2]، وأنه القلب الذي سلم من كل شهوه تخالف أمر الله عزوجل ونهيه، فسلم في محبه الله عزوجل مع تحكيمه لرسوله ﷺ، في خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، ومن هنا يتضح أن التعبير في الآية الكريمة بصيغه الفاعل (العافين) دون الفعل لان العفو أشبه بالكظم منه بالإنفاق[3] .

وخلاصه المطاف: القلب السليم هو الناجي من أهوال يوم القيامة وداخل في رضا الله عزوجل فكانت من علامة سلامه القلوب هو (الكظم والعفو) وجعل هذا المقام مساوياً للاحسان، والتعليل في ذلك؛ لأن الإنسان إن أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله تعالى، وإن كتم غيظه كتمه لله، وان عفا عفا لله عزوجل، فلهذا قيس مقام الكظم والعفو بمقام الإحسان وجعله الله تعالى درجه من درجات الإحسان العالية، وذلك لان الذي جعل مرتكزهُ الإحسان يعبد الله عزوجل؛ لأنه يلمس نفحاته عزوجل ويجعله رقيبا فمن كان رقيبه وحسيبه الله عزوجل نال حلاوة هذا العمل الصالح. فكان حقاً على العبد المحسن أن يكظم غيظه ويعفو لله عزوجل، لأنه علم إن ذلك سيزيده رفعة وإكراما من الله عزوجل ولا يعرف هذا التوفيق والكرم إلا من دخل إلى هذا المقام الرفيع الذي تصلح به نفوس الناس وتربطهم بربهم جل جلاله، ولعل ما قلناه يتضح ويترسخ

(١) مجمع الزوائـد، للهيثمي، ٦ / ١١٩، رقم ١٠١٠٣.
(٢) سورة الشعراء : ٨٨-٨٩ .
(٣) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية ١ / ٧، روح المعاني، الآلوسي ٢/ ٢٧٣ .

بما سنورده من مشاهد نورانية على منزلة الكاظمين الغيظ المحسنين، الذين يجودون بالمال في السراء والضراء، ويجودون بالعفو والسماحة بعد كظم الغيظ (ومن حب الله عزوجل للاحسان وللمحسنين، ينطلق فيه الإحسان في قلوب أحبائه، وتنبثق الرغبة الدافعة في هذه القلوب فليس هو مجرد التعبير الروحي، ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير)[1]، فلهذا قصر الرسول ﷺ التحلي بالإيمان على من تمتع بثلاث خصال فقال:(من لم يكن فيه ثلاث خصال، لم يجد طعم الإيمان (حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحرزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس)[2].وقال ﷺ: ((ينادي منادٍ يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله عزوجل، فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنة))[3]، ويقال انه مكتوب في الإنجيل (يا ابن ادم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين اغضب، وأرض بنصرتي لك، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك)[4]، فكانت سر حياة العارفين بالله عزوجل هو سر إتباعهم أخلاق المصطفى ﷺ وعقيدته وتعلقهم بالله عزوجل، فكانت لهم صور عبر التاريخ تعظ بها كل حيران وكل من أراد الطريق المستقيم طريق محمدﷺ، فيروى عن ميمون بن مهران(إن جاريه له جاءت بمرقه، عثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى(والكاظمين الغيظ) فقال: قد فعلت، فقالت :اعمل بما بعده (والعافين عن الناس) قال: قد عفوت فقالت:اعمل بما بعده (والله يحب المحسنين) فقال ميمون: أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى)[5].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ٤٧٥.
(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ٥ / ١٢٠، رقم ٤٨٤٨.
(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ٦ / ٢٧٢.
(٤) تنبيه الغافلين، السمرقندي، ١٦٣.
(٥) تنبيه الغافلين، السمرقندي، ص ١٦٤ – ١٦٥، وينظر: تفسير القرطبي، ٤ / ٢٠٧ .

والتعليل في ذلك كله إن هذه الصفات التي أحبها الله عزوجل

في عباده، كانت تشيع فيهم العقيدة السامية ومنبعها السماحة واليسر والطلاقة، فإنها جماعة متضامنة، متآخية فكانت هذه الجماعة قويه، فمن كانت هذه صفتهم تكون هذه عقيدتهم فمن زيادة حبه لهم عزوجل زاد لهم خصوصية هذه المحبة بأن وفقهم وكان هذا التوفيق بأن أراد لهم قلوب سليمة عرفوا الله عزوجل بها بكل أنواع الطاعات التي كان من اجل هذه المقامات التي لا تأتي إلا بالمجاهدة والمثابرة، وكان من نتائج مجاهدتهم ومثابرتهم النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة في الدنيا بأن يجعل الله لهم نورا يمشون به ويجعل لهم مهابة بين الناس وفي الآخرة يجزيهم بالرضا و النظر إلى وجه الله عزوجل والله اعلم .

المطلب الرابع:- صورة الأخلاق والعقيدة من الإحسان

قال تعالى]وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ([1]). أما الصورة التي جاءت في سياق هذا النص وهو إظهار صفات هؤلاء المؤمنين وعقيدتهم الرفيعة تجاه الباري عزوجل، فقد أظهرت هذه الآية الكريمة أعظم ما في نفوس البشرية، وليعلم الإنسان إن الله عزوجل يعلم السر وأخفى، فقد صوَّر طباع عقيدتهم الزكية ومشاعرها باطنا وهي صورة الأخلاق الرائعة لهؤلاء في الأدب بحق الله عزوجل، حتى لو إنهم في اكبر شدة ألا وهي الحرب والقتال مع الكفار وهم يواجهون الهول الذي يذهل النفوس وتحدق بهم الأخطار الجسيمة، ولكنه لا يذهل نفوس المؤمنين عن التوجه إلى الله عزوجل لا لطلب النصر وهو ما تتبادر إليه عادة النفوس ولكن لتطلب العفو والمغفرة واعترافها بالذنب

(١) سورة آل عمران : ١٤٨ .

والخطيئة، قبل أن تطلب الثبات، والنصر على الأعداء[1].وما ذلك بغريب على أتباع محمدﷺ الذي كانت عقيدته تنبع منها الأخلاق العظيمة التي كانت بكامل ألأدب مع ربه سبحانه وتعالى :﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[2]، كان هذا في غاية الأدب (فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمع متجاوزا إلى ما هو رائيه ومقبل عليه كالمتشرف إلى ما وراء ذلك)[3]، ولعل من هذه الدقائق اللطيفة أن هؤلاء المؤمنين اعترفوا بكونهم مسيئين فقالوا: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4]، فلما اعترفوا بذلك قرنهم الله عزوجل بالمحسنين ورفعهم على عقيدتهم وأخلاقهم هذه إلى مقام المحسنين، وإن العبد لا سبيل له بالوصول إلى حضرة الباري عزوجل إلا بإظهار هذه الأخلاق السامية وهي الذلة والمسكنة والعجز له عزوجل فلما أرادوا ألإقدام على الجهاد الذي هو أصعب ما يكون فيه الإنسان من الاختبار الروحي والجسدي،طلبوا تثبيت أقدامهم عند لقاء عدوهم وطلبوا معونته فسماهم الله عزوجل محسنين[5]، لذا فان أخلاق هذا النفر وأدبهم الجم مع الله تعالى أوصلهم إلى محبته لهم فمنحهم المغفرة على ما كان لهم من ذنوب وإسراف فيها وزادهم بان ثبت إقدامهم في سوح الجهاد حيث تزل الأقدام، ونصرهم على عدوه ووعدهم، ونخلص إلى القول إن العبد لا يمكن أن يؤتى بالفعل الحسن الذي يرضى الله تعالى إلا بهدايته له وإعانته على القيام بذلك العمل . وهذه الصورة العظيمة ـ كما

(١) ينظر: الظلال، سيد قطب، ١/ ٤٨٨.
(٢) سورة النجم : ١٧ .
(٣) روضة المحبين، ابن قيم الجوزية، ١٩٨.
(٤) سورة آل عمران: ١٤٨ .
(٥) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، ٥ / ٣٥ .

رأينا هي مفتاح لباب الإحسان الذي جعله الله عزوجل من أسمى المقامات قال تعالى:﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[1] .

المبحث الرابع : ـ صورة المتقين:

المطلب الأول : ـ المتقين لغة واصطلاحا

لغة: (بمعنى تقي الله تقيا أي خافه والتاء مبدلة من الواو ترجم عليه ابن بري، وجاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾[2] أي هو أهل أن يتقى عقابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته)[3] .

اصطلاحا: جاء بمعان عدة . منها معنى الطاعة:(هو يراد بها الإخلاص، وفي المعصية، يراد بها الترك والحذر، وقيل المحافظة على آداب الشريعة وبذلك كله وهو الأصل الاقتداء بالنبي ﷺ قولا وفعلا)[4] .

المطلب الثاني : ـ كرامة المتقين :

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[5] من أحب أن يكرمه الله تعالى في الدنيا والآخرة فليتق الله عزوجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[6]، فإن التقوى في كتاب الله عزوجل جاءت في مواطن كثيرة، ولكن اقتصرنا على محبة الله عزوجل للمتقين فعن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عزوجل وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِمَّا

(١) سورة الرحمن:٦٠.
(٢) سورة المدثر: ٥٦ .
(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٥ / ٤٠١ .
(٤) التعريفات للجرجاني، ٤١ .
(٥) سورة آل عمران : ٧٦.
(٦) سورة الحجرات : ١٣.

فِي يَدِهِ))[1]، وإن محل التقوى القلب فإذا طهر القلب طهرت الجوارح، وإذا صحت هذه المضغة صحت البنية (وصحة القلب من صحة السر الذي بين الآدمي وبين ربه عزوجل، فالسر طائر والقلب قفصه، والقلب طائر والبنية قفصه، والبنية طائر والقبر قفصها، وهو قفص القلب الذي لابد من الدخول إليه)[2]. إن السياق القرآني لهذه الآية يصور حال أهل التقوى الذين كانت صفتهم الإيفاء بالعهد، ثم يصف عقيدة المسلمين الصادقة مع عقيدة أهل الكتاب من اليهود والنصارى الفاسدة، ومن ثم بين من كانت عقيدته طاهرة كيف تكون أخلاقه وبين أخلاق هؤلاء فلهذا وصفهم بالتقوى، فان من كانت عقيدته زائفة كانت أخلاقه زائفة في حفظ الأمانة والوفاء بالعهد والكلمة وتعاملهم بالظلم وغير ذلك فان القرآن الكريم لم يبخس المحسنين منهم بقوله تعالى]وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ([3]، ولكن أكثرهم الخونة والطامعون المماطلون وهذه بالذات صفة اليهود (فكانت دائما لهم مقاييس متعددة، فكان إيفاؤهم بالعهد وحفظ الأمانة وغيرها كانت فقط بين يهودي ويهودي، أما مع غير ملتهم الذين يسمونهم الأميين[4](*) خاصة فلا حرج على اليهود في أكل أموالهم وغشهم وخداعهم وعدم إيفائهم بكل عهد وعدم الأمانة)[5]. ومن العجب في ذلك قولهم إن دينهم يأمرهم بهذا، وهذا ما كشفه لنا القرآن الكريم من عقائدهم وأخلاقهم الزائفة قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6]. ومن

(١) أخرجه الحارث في مسنده، كتاب الأدعية، باب المواعظ، ٢ / ٩٦٧، رقم ١٠٧٠، والمستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، حديث سالم، ٤ / ٣٠٠، رقم ٧٧٠٧، وقال عنه حديث صحيح .

(٢) الفتح الربانـــي، عبد القادر الكيلاني ١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٧٥ .

(٤) (*) الأميين : يعني بهم العرب .

(٥) ظلال القرآن / ١ – ٤ / ٤١٦ .

(٦) سورة آل عمران : ٧٥ .

علامة المتقين والذين دخلوا في محبة الله عزوجل الوفاء بالعهد فمنها ما يكون فيما بينهم ومع الله عزوجل لقوله تعالى:﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾[1]، (أي بالوفاء له بالإخلاص والإيمان والطاعة وعهودهم مع الخلق)[2]، قال تعالى:﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[3]، ومن ثم زادهم على ذلك بالتقدير لهم وزيادة في محبته لهم على هذه العقيدة والأخلاق الحميدة بالأجر العظيم الذي ليس له نظير قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]. والتعليل في ذلك والله اعلم أن القاعدة واحدة من راعاها وفاءً بعهد الله عزوجل وشعوراً بتقواه أحبه الله عزوجل وأكرمه، والوفاء بالعهد مرتبط بالتقوى فأن الوفاء بالعهد سواء كان مع الله عزوجل أم مع عباده يكون في غاية الصعوبة ولا احد يدركه إلا المتقون الزكية نفوسهم بعقيدتهم وحبهم لله عزوجل.. فكانت نظرية الإسلام الأخلاقية ثابتة مع كل مسلم وغير مسلم بصفه عامة في الوفاء بالعهد وفي سواه من الأخلاق، فكانت أمة محمد ﷺ أوفى بالعهد من غيرها لأنه كان علاقتهم مع الله عزوجل قبل أن تكون علاقتهم بينهم وبين الناس فكانوا أوفى بالعهد من غيرهم والنتيجة في ذلك أحب الله عزوجل .هذا

الخلق العظيم الذي دخل قلوبهم فأحبهم الله عزوجل على صورتهم وجعلها من التقوى ومدحهم بها، فكانت أخلاقهم وعقيدتهم خالصة لوجه الله عزوجل وهي فاصله بينهم وبين الأقوام من غيرهم وكانت حدائق التقوى الذي كان من نماذج وردها الوفاء بالعهد(فان أردت أن تكون متقيا متوكلا واثقا فعليك بالصبر فانه أساس لكل

(١) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٢) مدارج السالكيـــن، ابن قيم الجوزية ١ / ٢٦٨، وينظر التسهيل لتأويل التنزيل / العدوي٢١١.
(٣) سورة الإسراء: ٣٤.
(٤) سورة الفتح : ١٠ .

خير، وإذا صحت النية بالصبر، فصبرت لوجه الله تعالى، كان جزاءه أن يدخل قلبك حبه وقربه دنيا وآخره)[1] والملازم للتقوى لا آفة تطرقه، ولا بليه تنزل عليه، فهو يرى عذوبة العذاب، لأنه يشاهد المبتلى في البلاء لا الألم فلهذا قال ألشبلي في هذا الباب:

أحبك الناس لنعمائك وأنا أحبك لبلائك [2]

فمن كانت له التقوى الحقيقية فإنها أساس كل هذه الصور الجميلة، وهذا هو المفصل الأساس في جميع المسائل وإنها ألأساس الذي يجعل العباد يطلبون العلى من التقرب إلى الله تعالى ومحبته لهم كامنة من تكون هذه صفته وتقواه وصحة عقيدته ونهجه . والله أعلم.

المبحث الخامس : ـ صورة الصابرين:

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [3] .

المطلب الأول :ـ الصبر لغة واصطلاحاً:

لغة: (صبر في أسماء الله تعالى الصبور تعالى وتقدس هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ومعناه قريب من معنى، الحليم، والفرق بينهما، إن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور،كما بأمنها في صفة الحليم) [4] .

اصطلاحا:(هو خلق فاضل من أخلاق النفس،يمتنع به الإنسان من فعل ما لا يحسن فعله،

(١) الفتح الرباني، الكيلاني ١٣٥.
(٢) صيد الخاطر ، ابن الجوزي١٣٦.
(٣) سورة آل عمران : ١٤٦.
(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤ / ٤٣٧ .

والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والثبات على أحكام الكتاب والسنة المطهرة)[1]، وعنه ﷺ: ((لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ))[2] .

المطلب الثاني:- عقيدة الصابرين :

إن الدنيا أفات ومصائب، والنادر منها غير ذلك فما من(نعمة إلا وجلبها نقمة، وما من فرحة إلا ومعها ترحه ما من سعة إلا ومعها ضيق، فان الصبر هو دواء في تناول ما يؤخذ من الدنيا)[3]، فكانت هذه الوقفة المشرقة التي نعرض بها صفة هؤلاء الذين دخلوا هذا الباب على الله عزوجل الذي كان من أصعب أنواع الطاعات وأقساها على القلب، وهو سبيل كل طاعة، ولا دواء لهذا أو تلك إلا الصبر في الله تعالى. وهذا حال من كانت تلك عقيدته تجاه الباري عزوجل فكانت تنبع منها هذه الأخلاق العظيمة، ولعظم أخلاقهم كانوا يدعون ويطلبون من الله تعالى الثبات والصبر منه فكما جاء في القران الكريم على لسان الصادقين (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)[4] (فكانت الصورة لهم أنهم لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعضع قواهم ولا تلين عزائمهم،فكان التعبير لهم بالحب من الله تعالى للصابرين له، وقعة وله إيحاءه، فهو الحب الذي يأسو الجراح ويسمح على القرح ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير)[5]، فإنه عزوجل لم يمدح أحدا إلا من صبر على البلاء والشدة فبذلك جعل الصبر خاصية

(١) فقه القلوب ، التويجري، ٢ / ١٩٢٦ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ٨/ ٢٥، رقم ٦٠٩٩.
(٣) الفتح الرباني / ٢٩ – وينظر عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم، ٥ –٧ .
(٤) سورة البقرة : ٢٥٠.
(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ٤٨٨ .

الصدق وجعل الصابرين من خصوص الصادقين[1]، فإن الله عزوجل وضع الصبر في العلو والفضل إلى مقام اليقين فقال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[2]، وقد جعل علي رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل والإيقان فقال: (بني الإسلام على أربعة دعائم، على اليقين والصبر والجهاد والعدل، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد،لا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له)[3] .

المطلب الثالث:- صور الصبر :

إن الصبر اشق شيء على النفس وأمُّره على الطبع وأصعبه فيه الألم والكظم عن الذل والحلم منه التواضع والكتم وفيه الأدب وحسن الخلق، وفيه يكون كف الأذى عن الخلق، واحتمال الأذى من الخلق وهذا كله من عزائم الأمور قال تعالى) وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ[4]، (وهي من عزائم الأمور التي يضيق منها أكثر الصدور، ولأجل ذلك اشترط الله عزوجل على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد وحقق الصبر صدقهم وتقواهم)[5] فأكمل الله عزوجل به وصفهم لهذه العقيدة الصابرة بقوله تعالى)وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ([6]، فتبين أن الصبر يكون على أنواع كثيرة ولكنها أنواع ملحة للجميع[7] .

---

(١) ينظر: قوت القلوب، أبي طالب المكي١ / ٣٩٢ بتصرف.
(٢) ينظر: سورة السجدة: ٢٤ .
(٣) قوت القلوب ، أبي طالب المكي ،١ / ٣٩٠ .
(٤) سورة آل عمران : ١٨٦.
(٥) قوت القلوب، أبي طالب المكي ١ / ٣٩٤ .
(٦) سورة البقرة : ١٧٧.
(٧) ينظر : الفتح الرباني، ص ٣٠ -٣١؛ قوت القلوب، أبي طالب المكي، ١/ ٣٩١؛ فقه القلوب،

أولا : الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد، حذراً من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً، فكأن داعي الحياء يكون دائماً عالماً بمعرفة الله عزوجل، فكان فيه تعظيم لله عزوجل وإجلاله سبحانه، وليس وازعه الخوف، وكلا المقامين من مقامات الأيمان .

ثانياً : الصبر على طاعة الله عزوجلوهو ما يؤدي به إلى الإخلاص إليه سبحانه وتعالى .

ثالثاً : الصبر على البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بِعَد أيادي المنن وبذكر سَوالف النعم، فإذا اعد نعم الله عزوجل هان عليه ما فيه من البلاء .

المطلب الرابع:- الجزاء

قال الله عزوجل:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

فقد ضاعف جزاء الصابرين على كل عمل، ورفع جزاء الصبر فوق كل جزاء، فجعله بلا نهاية ولا حد له، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

وعندما سئل ﷺعن الإيمان قال (الصبر والسماحة)[3]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول (نعم العدلان ونعمت العلاوة[4](*) للصابرين، وكان يعني بالعدليين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى)[5] ، وكان من جزائه لهم عزوجل أن جعلهم في معيته

التويجري، ١ / ٣٩٢

(١) سورة القصص : ٥٤.

(٢) سورة الزمر : ١٠

(٣) مسند أحمد، ٣٢/ ١٧٧، رقم ١٩٤٣٥ . وقال عنه محققوه، هذا حديث صحيح لغيره.

(٤) (*) العلاوة ما يعلى فوق الحملين على البعير فيكون كعدل ثالث .

(٥) قوت القلوب، أبي طالب المكي، ١ / ٣٩١.

جل جلاله؛ لأن صبرهم كان صبراً جميلاً على أشد شيء من البلاء الذي لا شكوى معه والصفح الجميل الذي لا عتاب معه والهجر الجميل الذي لا أذى معه، فهذا الذي أكمل اليقين بالله تعالى نراه في معية الله عزوجل وخاصته وزاده في ذلك بأن جعل محبته عليهم عزوجل وجعلهم من المؤمنين، فكان الرسول الأعظم ﷺ دائماً يسأل الصحابة الكرام عن أحوال عقيد تهم التي في قلوبهم فقال لهم ذات يوم وهو يسألهم على علامة إيمانهم فقال ﷺ:((أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا، فقال عمررضي الله عنه : نعم يا رسول الله ﷺ، قال: ما علامة إيمانكم قال: نشكر في الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال ﷺ: مؤمنون ورب الكعبة))[1]، ففي عقيدتهم أن الصبر قد جمع لهم خصلتين مع الأدب مع الله عزوجل، منها الشكر؛ لأن الإنسان سواء أصابته ضراء أم سراء في الجهاد أو غيره من الأمور التي تم ذكرها، فكانت صورتهم شاكرين صابرين، وان الله عزوجل اطلع على قلوبهم فرآها كذلك؛ لأن بلاءهم كان عظيما عليهم وعلى عوائلهم من بعدهم، وأنهم اتصفوا بصورة أخرى عظيمة، إلا وهي التقوى؛ لأن الذي لا تكون له تقوى لا يكون صابراً، فكان الجهاد أسهل عليهم من مجاهدة النفس ولولا هذه المجاهدة والمصابرة لما كانت النتيجة لهم بأن جعل صورتهم من المحببين إليه، فأحبهم الله، وكذلك يجزي الله الشاكرين الصادقين الصابرين المتقين .

المبحث السادس : ـ صورة المتوكلين

قال تعالى:﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2] .

المطلب الأول:ـ لغة واصطلاحاً:

لغة:(يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي الجأته إليه،

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، كتاب الإيمان، باب في الإيمان والإسلام، ١/ ٥٤ ، رقم ١٧١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا، أي إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجز عن قيام بأمر نفسه، ووكل الأمر سلمه)[1] .

اصطلاحا: (هو الثقة بما عند الله عزوجل واليأس عما في أيدي الناس)[2].

وجاءت آيات قرآنيه كثيرة تحث على التوكل، قال عزوجل: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[4]. وقال النبي ﷺ: ذكر انه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفا لا حساب عليهم ثم قال: ((يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))[5]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول (لو إنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا)[6]، فالتوكل هو اعتماد القلب على المتوكَّل عليه؛ لأن الإنسان لا يتوكل على غيره إلا إذا اعتقد فيه الشفقة، والقوة والهداية وهذا لا يكون إلا لله عزوجل، فإنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة[7]، وذكر عن النبي داود عزوجل انه قال لابنه- سليمان عزوجل إنما يستدل تقوى الرجل ثلاث (حسن التوكل فيما لم ينل،

(١) لسان العرب، ١١ / ٧٣٤ .
(٢) التعريفات للجرجاني، ٤٣.
(٣) سورة آل عمران : ١٢٢.
(٤) سورة الطلاق: ٣ .
(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ((ومن يتوكل على الله فهو حسبه))، ٨/ ١٠٠، رقم ٦٤٧٢.
(٦) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب التوكل على الله، ٤/ ٥٧٣، رقم ٢٣٤٤. قال عنه حديث حسن صحيح.
(٧) مختصر منهاج القاصدين، ٤٢٠.

حسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات)[1] .

المطلب الثاني : التوكل صفة المؤمنين:

يبنى التوكل على أساس التوحيد وهو متعلق به فلهذا جعل الله عزوجل محبه خاص للمتوكلين عليه حق التوكل الخالص، وطبقات التوحيد(منها ما يصدق القلب بالوحدانية المترجم عنه بقوله تعالى لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو اعتقاد العامة، ومنها أن يرى الأشياء المختلة، فيراها إنها صادرة عن الواحد جل جلاله، وهذا مقام المقربين، ومنها أن يرى الإنسان إذا انكشف عن بصيرته إن لا فاعل سوى الله تعالى، بل يكون منه الخوف وله الرجاء، والثقة عليه التوكل؛ لأنه في الحقيقة هو الفاعل وحده سبحانه تعالى والكل مسخرون له)[2]، فإن أحوال الخلق متفاوتة فكان لهذه الأنفس مقامات متفاوتة فمنهم من يكون حاله في حق الله عزوجل الثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل، ومنهم من تكون حاله مع الله عزوجل كحال الطفل مع أمه، فانه لا يعرف غيرها، ولا يفزع إلى سواها، ولا يعتمد إلا عليها وان نابه أي أمر كان أو خاطر يخطر على قلبه، وأول سابق إلى لسانه: يا أماه وهذه أقوى من الأولى، ومنهم من يكون بين يدي الله عزوجل مثل الميت بين يدي المغسل، لايفا رقه إلا انه لا يرى نفسه ميتاً، وهذه أعلى الدرجات[3]، فمن كان هذا تأله إلى الله جل جلاله، ونظره إليه، واعتماده عليه كَلفَ به، كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً.

المطلب الثالث : حركة العبد في أحوال التوكل أحوال العبد كما أسلفنا وحركاته

(١) تنبيه الغافلين، السمرقندي، ٣٨٩.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ٤٢٠، وينظر فتح القدير، ١ / ٣٩٤.

(٣) ينظر: تنبيه الغافلين، ٣٩١.

وفنونها تكون في الأمور الآتية [1] .

الأمر الأول: حركة العبد لا تعدو عن الأسباب التي ارتبطت بها المسببات بتقدير الله عزوجل ومشيئته، والله عزوجل خلق الطعام، واليد والأسباب، وقوة الحركة، وانه هو الذي يطعمك ويسقيك، وهو القادر على جلب المنافع والمضار مثال ذلك: أن يكون الطعام بين يديك وأنت جائع، فلا تمد يديك إليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد إلى الطعام سعيٌ، فانه يتصور هذا قد جهل سنة الله تعالى .

الأمر الثاني: في التعرض للأسباب بالادخار، فمن وجد قوتاً حلالاً يشغله كسب مثله عن جمع همه، فادخاره إياه لا يخرجه عن التوكل خصوصاً الذي كانت عنده عائلة، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان النبي ﷺ: ((كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ)) [2].

الأمر الثالث: مباشرة الأسباب الدافعة للضرر،فمثلا ً لا يجوز النوم في الأرض المسبعة[3(*)] أو في مجرى السيل وتحت الجدار الخرب .

الأمر الرابع: أن يكون مظنوناً كالحجامة، والمسهّل، ونحو ذلك، فهذا لاينا قض التوكل، فان الرسول ﷺ: ((تداوى وأمر بالتداوي))[4]، فكانت هذه الأسباب والمسببات التي جعلها الله عزوجل في أحوال الخلق كلها من الله عزوجل، والتعليل في ذلك والله اعلم من قراءة أقوال العلماء يجب على الإنسان أن يكون له اليقين

(١) أينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة،٤٢٠ – ٤٢١؛ فتح القدير، الشوكاني،١ / ٣٩٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال، ٧/ ٦٣، رقم ٥٣٥٧.

(٣) (*) المسبعة : أي فيها سباع ووحوش.

(٤) سنن الكبــرى، البيهقي، كتاب الضحايا، باب إباحة الرقية بكتاب الله(عزوجل)، ٩ / ٥٨٧، رقم ١٩٦٠٢.

الصادق وهو أن (يصدق الله تعالى بجميع أسباب الآخرة، والتوكل بأن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا)[1]. وإن الآية القرآنية الكريمة التي ذكرناها في أول المبحث هذا أعطت صورة رائعة من صور حب الله المتعلقة بحسن التوكل الذي لا يلغي الأخذ بالأسباب فيها إيعاز للمؤمنين كافة على مشاورة آهل العلم والخبرة والدراية كلاَ بحسب اختصاصه، فمثلا على من يتولى أمور المسلمين مشاورة العلماء فيما لا يعلم من أمور الدنيا وما أشكل عليه، وكذلك مشاورة أهل الجيش فيما يتعلق بأمور الحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح وغيرها، وهكذا فأن الله عزوجل قادر على أن يرفع هذه الأسباب وغيرها، ولكنه أراد أن يدرك الناس عقيدة هذا الدين الذي بني على التوحيد الخالص لله تعالى، ولكي يتسنى لهم التعرف على الله عزوجل بالأخذ بهذه الأسباب التي جعلها الله عزوجل لطفاً بهم ورحمة .فلهذا لما جاء رجل إلى الرسول ﷺ قال: يا نبي الله أرسل ناقتي وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال ﷺ: ((أعقلها وتوكل على الله))[2]. فإن من محبة الله عزوجل لهؤلاء المتوكلين أن زادهم في محبته لهم اللطف بحالهم، فجعل لهم أسباب التوكل فعندما اخذوا بها وحرصوا عليها زادهم في ذلك، بأن أدخلهم مقام المتوكلين الصادقين، الذين يعملون بالأسباب ويتوكلون على الله عزوجل (وإن الله يحب المتوكلين) .

المبحث السابع : - صورة التوبة الصادقة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[3].

(١) تنبيه الغافلين، السمرقندي، ٣٩١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب صفة القيامة، ٦١، رقم ٢٥١٧، هذا حديث غريب من حديث أنس.

(٣) سورة لبقرة: ٢٢٢.

المطلب الأول: - التوبة لغة واصطلاحاً:

لغة:(الرجوع عن الذنب. وفي الحديث ((النَّدَمُ تَوْبَةٌ))[1]، وقال الاخفش :التوب جمع توبة مثل عزمه وعزم، وتاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومنابا أناب رجع عن المعصية إلى الطاعة)[2].

اصطلاحا: (وهو توثيق العزم على إن لا يعود لمثله قال ابن عباس رضي الله عنه: التوبة النصوح (الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على أن لا يعود)[3]. وهي واجبة على الفور عند عامة أهل العلم، ومعناها، الندم والعزم على ترك العود إلى ما نهى الله عنه، والسعي في أداء المظالم[4].

المطلب الثاني: التائبين وأحوالهم أن الله عزوجل أعز الناس بإصلاح قلوبهم بهذا الدين العظيم، وزكى عقيدتهم من كل شائبة، فلهذا أطلق عليهم المؤمنين وان المؤمن لا يقصد أن يقع في الذنب ولا يتعمده وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[5]. فلإن الله عزوجل أبغض للمؤمنين المعصية فلا يتعمدها المؤمن، ولكن قد يقع فيها في حال الغفلة، وهنا يحتاج إلى الاستغفار والتوبة النصوح المتبعة بالندم، وإن من استغفر الله عزوجلونيته أن يعود إلى الذنب، فان عقيدته خربة لأنه لم يستشعر بالنظرة الإلهية فان توبته كاذبة، أما من كانت نيته صادقة فإنما ظهرت توبته من صلب إيمانه واعترافه بالذنب والندم عليه، فان توبته صادقة، في هذه

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٢ / ١٤٢٠، رقم ٤٢٥٢، وينظر: المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة،٤/ ٢٧١، رقم ٧٦١٣، وقال عنه حديث صحيح الإسناد.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٢٣٣.

(٣) التعريفات، للجرجاني، ٤٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ٤٣.

(٥) سورة الحجرات : ٧ .

الحالة يغفر الله عزوجل له ويتوب عليه؛ لأن الله جل جلاله رؤوف بعباده رحيم بهم[١] والتواب هو المكثر من فعل ما يسمى توبة، قد يقال هذا من حق الله تعالى من حيث يكثر من قبول التوبة، والتوبة معروفة إنها (لا تليق إلا للمذنب فمن لم يكن مذنبا وجب أن لا تحسن منه التوبة)[٢]، فإن من نزل منزل التوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام (فإن استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده في منزل الإنابة)[٣] التي أمر الله عزوجل بها في كتابه العزيز، قال جل جلاله:﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾[٤]، وقال عز من قال: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[٥]، فكان خطابا لقلب المصطفى ﷺ وقلوب أمته(أي أقم وجهك أنت وأمتك منيبين إلى الله)[٦]، فكانت التوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب، وهو ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرّط فيه، والعزم على ترك العود، ورد المظالم والحقوق لأهلها[٧]، فعند قراءة الكتاب العزيز والتمعن فيه نرى انه فصل أحوال العبد في التوبة،فانه إما أن يكون تائبا وإما أن يكون ظالما لقوله عزوجل]وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[٨]، المؤمن بما يتوب منه ليحصل له بذلك تكميل العبودية والتضرع والخشوع لله والإنابة إليه عزوجل ويحصل القرب منه جل

(١) ينظر: تنبيه الغافلين، السمرقندي ٨٢ ؛ مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ١ / ٤٦٦ .
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ، ٥ / ٦٠ .
(٣) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ١ / ٤٦٦.
(٤) سورة الزمر: ٥٤.
(٥) سورة المؤمن : ١٣.
(٦) مدارج السالكين، ١ / ٤٦٦.
(٧) فقه القلوب، التويجري، ١٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣.
(٨) سورة الحجرات: ١١.

جلاله"[1] فإن العبد مهما أسرف على نفسه ثم تاب اله ورجع غفر الله تعالى له جميع جرمه لأنه علم أن له ربا يغفر الذنوب له وانه يغفر لمن يشاء من عبيده[2] والمبين من كل ما جاء به من الأقوال هو انه التوبة هي الصلة الحقيقية بين الله عزوجل وبين عباده لأنها تتكفل بديمومة الصلة بين العبد وبين الله عزوجل.أما ما قاله الأمام الرازي رحمه الله:(أنه من لم يكن مذنبا وجب إن لا تحسن منه التوبة)[3]، فإن في هذا الكلام نظرا فإن العبد يخطئ ويصيب ويعمل الذنوب صغيرها وكبيرها فإن من المستحسن للعبد أن يستغفر الله عزوجل ويتوب إليه عمل أم لم يعمل وذلك لأن ﷺ والأنبياء من قبله وهم المعصومون كانوا يبادرون بالتوبة والإنابة والاستغفار؛ لأنهم شعروا بهذا الجو العظيم الذي تتفتح فيه قلوبهم، فقد قال الله عزوجل على لسان آدم عزوجل: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4]، وقال عن نوح عزوجل) وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [5]، وقد كان النبي ﷺ الذي هو أكمل الخلق وقد غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه كان أكثر الخلق محافظاً على التوبة والإنابة والاستغفار لقوله عليه عزوجل في دعائه: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[6]، ويقول : ﷺ((أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ))[7]،

(١) فقه القلوب، ١/ ٢٨٣.
(٢) الاعتقاد والهداية، البيهقي، ٦٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٤.
(٤) سورة الأعراف : ٢٣.
(٥) سورة هود : ٤٧.
(٦) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ٢/ ٨٥، رقم ١٥١٦، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستغفار، ٢/ ١٢٥٣، رقم ٣٨١٤.
(٧) سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب في الاستغفار، ٣/ ١٧٩١، رقم ٢٧٦٥.

فإذا كان هذا حال أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وحال أفضل الخلق محمد ﷺ، كان من الأولى إن يكون عباده المؤمنون سواء كانوا مذنبين أم غير ذلك إن يكون من التائبين المستغفرين وهذه هي صفة المحبين، فأنه عزوجل من زيادة حبه لهم أراد لهم التوفيق للتنبه والأنابه والاستغفار دائماً فكانت ديمومتهم لهذه الأعمال إن دخلت محبتهم في الله عزوجل فأحبهم الله وان من أسمائه التواب كما قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، فكان لابد أن مَن يتحلى ويعمل بهذا الاسم من العباد أن يدخله الله عزوجل محبته بفضله ورحمته إنه التواب الرحيم، فالإنسان قد يسمي ولده باسم أحب الناس إليه فهذا من علامة حبه لهذا الشخص، فكيف إذا عمل بما يتطلبه ذلك الاسم- ولله المثل الأعلى- فإذا أحب العبد اسم التواب ويعمل بخصوصية هذا الاسم العظيم الذي يجسد فيه سلامة العقيدة ويقوي صلة العبد بربه، وما بالك إذا كان بابه مفتوحا وعفوه موجودا ورحمته فوق كل شيء قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

المطلب الثالث : من فضائل التائبين:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، سبقت رحمة الله جل جلاله غضبه، وحلمه سبق مؤاخذته، وعفوه سبق عقوبته، وهو أشد ما يكون فرحاً في توبة عبده، والأكثر من ذلك فأنه يعينه عليها ويثبته، فما أكرم هذا الإله العظيم الرحيم، فأن من فضائل رحمته ما ذكره الرسول ﷺ:((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا

(١) سورة البقرة : ٣٧.
(٢) سورة الزمر: ٥٣.
(٣) سورة المائدة: ٧٤.

بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ)) [1]، ومن حب الله عزوجل للعبد إن جعل قبول توبته ما لم تخرج نفسه، فقد روى أيوب عن أبي قلابة قال:(إن الله تعالى، لما لعن إبليس،سأله النظرة، فأنظره، فقال انظر ما ترى فقال:وعزتك، لا أخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه، فقال الرب ((وَعِزَّتِي لَا أَحْجُبُ عَنْهُ التَّوْبَةَ مَا دَامَ فِيهِ الرَّوْحُ))[2]، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:((إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي))[3]، قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [4] فكان أعظم العباد بعد المصطفى ﷺهم أصحابه الكرام رضي الله عنه فكانوا من العارفين فكانت أحوالهم أحوال الصادقين المخلصين فكان أحدهم يعمل الذنب الصغير ويعدّه من الكبائر فيهيج روعه ويدخل على باب رحمة ربّه بكل أدب وعقيدة صافيه لأنه عرف أن الذي يدعوه يسمع ويرى فمن كانت هذه عقيدته كيف يكون حاله؟وانظر إلى هذا المشهد العظيم وأنا أقلب صفحات الكتاب فرأيت هذه الحادثة وكأنها صورت لي كيف كان يتعامل

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ٤ / ٢١٠٣، رقم ٢٧٤٧.

(٢) ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب ذكر رحمة الله، باب ما ذكره في سعة رحمة الله، ٧ / ٦٢، رقم ٣٤٢١٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، ١٥/ ١٤٧، رقم ٩٢٥٧، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) سورة الشورى، ٢٥ .

هؤلاء الأصحاب مع خطاياهم فاقرأ هذه الرواية وتمعن بها كثيراً وانظر إلى تلاميذ رسول الله ﷺ بماذا وصلوا إلى محبة الله عزوجل حتى غمرهم بعفوه ورحمته، فعن علي رضي الله عنه قال:(لما آخى الرسول ﷺبين المسلمين آخى بين سعيد وبين ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، وغزا رسول الله ﷺغزوة تبوك، فخرج سعيد غازياً، وخلّف أخاه ثعلبة في أهله، فكان يحتطب لأهله الحطب ويستقي الماء على ظهره في كل ذلك يرجو الثواب من الله تعالى، فأقبل ثعلبه[1](*) ذات يوم، فدخل المنزل فجاءه إبليس فقا ل له: أنظر خلف الستر، فرأى امرأة أخيه وكانت جميلة، فلم يصبر حتى دخل عليها ومسها، فقالت له: يا ثعلبه ما حفظت فينا حرمة أخيك الغازي في سبيل الله تعالى، فنادي ثعلبه بالويل والثبور وخرج هارباً إلى الجبل فنادي بأعلى صوته (الهي أنت أنت وأنا أنا، أنت العواد بالمغفرة،وأنا العواد بالذنوب والخطايا، فلما أقبل النبي ﷺ من غزوته، أقبل جميع الإخوان يتلقون إخوانهم ولم يستقبل أخو سعيد، فأقبل سعيد إلى منزله فقال لامرأته ما فعل أخي المؤاخي في الله؟ قالت:(انه ألقى نفسه في بحور الخطايا فخرج هاربا ً إلى الجبل) فخرج سعيد يطلب أخاه في الجبل فوجده منكبا ً على وجهه واضعا ً يده على رأسه ينادي بأعلى صوته (وأذل مقاماه، مقام من عصى ربه) فقال له سعيد: قم يا أخي فما الذي بلغك ما أرى قال ثعلبه: لست بقائم معك حتى تغل يدي إلى عنقي وتقودني كما يقاد العبد الذليل إلى باب مولاه ففعل وكانت له ابنه يقال لها خمصانه فأقبلت تقود أباها حتى انتهى إلى باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ثعلبه :لامست امرأة أخي الغازي في سبيل الله فهل لي من توبة، فقال عمر رضي الله عنه (أخرج من عندي فلا توبة عندي لك) فخرج من عنده إلى باب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال له مثل

(١) (*) ثعلبة بن عبد الرحمن خدم النبي ﷺ وقام في حوائجه، روى حديثه محمد بن المنكدر عن ابيه عن جابر / ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة / ١ / ٢٨٩ رقم ٦٠٦ .

ما قال عمر، فخرج إلى باب علي رضي الله عنه فقال له مثل ما قال صاحباه، فخرج إلى النبي ﷺ وهو يقول لأخيه ولأبنته قد آيسني هؤلاء النفر، وأرجوان لآيؤيسني رسول ﷺ فأتت به ابنته إلى باب الرسول ﷺ فما دخل عليه نظر إليه الرسولﷺ وقال: ذكرتني بسلاسل جهنم فقال له بالقصة فقال ﷺ (أخرج من عندي فلا توبة لك عندي ابداً) فخرج فقالت له أبنته: يا أبتِ لست لي بوالدٍ حتى يرضى عنك الرسول ﷺ وأصحابه، فولى ثعلبة هارباً إلى الجبل ينادي بأعلى صوته، يا رب أتيت عمر فأراد ضربي أتيت أبا بكر فانتهرني، واتيت عليا فطردني، واتيت الرسول ﷺ فآيسني، فما أنت يامولاي صانعٌ بي أن تقول لدعائي نعم أو تقول لا،فإن قلت لا فياويلتاه ويا ندامتها، وإن قلت نعم فطوبى لي، فأقبل ملك من السماء وهو يقول للنبي ﷺ يقول الله تعالى أنت خلقت الخلق أم أنا ؟ قال ﷺ:بل أنت ياسيدي، قال يقول لك الجبار تبارك وتعالى :بشر عبدي إني قد غفرت له) فقال النبي ﷺ:من يأتيني بثعلبه ؟ فقام علي وسلمان رضي الله عنهفأذن لهما فأخذا في وجهته فانطلقا فإذا هما براعٍ من رعاة المدينة فقال له علي رضي الله عنه: هل رأيت أحدا ً من أصحاب الرسول ﷺ. قال الراعي: عسى إنكما تطلبان الهارب من جهنم ؟ قالا : نعم فدلنا على موضعه فقال: إذا جن عليه الليل حضر هذا الوادي حتى يجيء تحت هذه الشجرة، ثم ينادي: وأذل مقاماه، مقام من عصى ربه،فأقاما حتى إذا جن الليل إذ أقبل ثعلبه فأتى الشجرة، فخر تحتها ساجداً باكياً فلما سمع بكاءه سلمان رضي الله عنهمشى إليه فقال له : يا ثعلبه قم فإن رب العالمين قد غفر لك، فقال: كيف تركتم حبيبي محمد ؟ قال سلمان: كما يحب الله وتحب أنت . فلما أقام بلال رضي الله عنه صلاة العشاء أدخلاه المسجد فأقاماه في آخر الصف فقرأ الرسول ﷺ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) فشهق شهقة فلما تلا (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) شهق شهقة أخرى فارق الدنيا، فلما أنفتل النبي ﷺ جاء إلى ثعلبة فقال لسلمان: إنضح عليه الماء . فنادي سلمان يا نبي الله قد فارق الدنيا،فأقبلت ابنته

خمصانه فقالت: يانبي الله ما فعل والدي؟ فإني كنت بالأشواق إليه. قال ﷺ: ادخلي المسجد دخلت فإذا بوالدها ميت، ثم قالت: من لي بعدك يا أبتاه .فقال ﷺ : يا خمصانه أما ترضين أن أكون لك والداً وفاطمة لكِ أختاً، فقالت: بلى يا رسول الله ﷺ فلما حُمل ثعلبه أقبل النبي ﷺ يتبع جنازته حتى إذا أقبل على شفير القبر، أقبل يمشي على أطراف أصابعه فلما رجع قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله رأيتك تمشي على أطراف أصابعك. قال النبي ﷺ: (يا عمر ما قدرت أن أضع باطن قدمي من كثرة الملائكة)[1]، فمن هذه القصة العظيمة يجب على العبد أن يضع أجله بين عينيه لكي يثبت على التوبة، فإن الثبات على التوبة أشد من التوبة قال محمد بن سيرين (إياك أن تعمل شيئاً من الخير ثم تدعه فإنه ما من أحدٍ تاب ثم رجع فأفلح)[2].

المبحث الثامن : ـ صورة المقسطين :

قال تعالى (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[3].

المطلب الأول : ـ المقسطين لغةً واصطلاحاً.

لغة: قسط في أسماء الله الحسنى (المقسط) وهو العادل يقال أقسط يقسط فهو مقسطو إذا عدل وقسط يقسط فهو قاسطٌ إذا جار فكأن الهمزة في أقسط ـ للسلب ـ كما يقال شكا إليه فأشقاه. وفي الحديث ((إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ))[4]، والميزان سمي به من القسط

(١) الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر ، ١/ ٢٨٩؛ تنبيه الغافلين، السمرقندي، ٥١٨،
(٢) تنبيه الغافلين، السمرقندي، ٩٢ .
(٣) سورة المائدة :٤٢ .
(٤) مسند الروباني ، ١/ ٣٦٤، رقم ٥٥٥ ؛ ومستخرج أبي عوانة، كتاب الإيمان، باب بيان نزول الرب (عزوجل)،١/ ١٢٧، رقم ٣٧٩.

العدل أراد إن الله عزوجل يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد، المرتفعة إليه والنازلة عنده [١].

اصطلاحاً: (عن مجاهد قال: القسط العدل بالرومية)[٢] أي العدل الذي أمرت به، وهو ما تضمنه من القرآن الكريم واشتملت عليه الشريعة الإسلامية [٣].

المطلب الثاني: منابر النور:

والله يحب العادلين في حكمهم بين الناس، الحاكمين بينهم بما انزل الله تعالى فجاءت هذه الآية الكريمة تبين فضل عقيدة هؤلاء المقسطين الذين يحكمون خاصة بين أطياف الناس[٤]، وقد يأتي بمعنى الظلم لقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[٥]، أي الجائرون عن الحق الظالمون، هم حطب جهنم والمقسطين كلمتان مترادفتان قريبتان في الرسم. والمقسطون والقاسطون: المقسطون: أي المحمودون، القاسطون غير محمودين[٦] وجاء في الحديث الصحيح عن عبدا لله بن عمرو بن العاص قال الرسول ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا[٧]. وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٧ / ٣٧٧.
(٢) الإتقان في علوم القــرآن، جلال الدين السيوطي، ٢ / ١٣٧ .
(٣) ينظر: روح المعاني، للآلوسي ٣ / ٣١٠.
(٤) جامع البيان / ٣ / ٢٣٢ بتصرف.
(٥) سورة الجن : ١٥.
(٦) ينظر جامع البيان ، ٣ / ٢٣٢ – ٢٣٣.
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ٣/ ١٤٥٨، رقم ١٨٢٧.

غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[1]، وقال ﷺ ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُوسُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))[2]، فإن العدل رفعة في الدنيا بمرضاة الله عزوجل ورفعة في الآخرة لإكرام الله عزوجل لأولئك المقسطين يرقيهم ويرفعهم على المنابر وقوله من نور (فان العدل نور في الدنيا وقرة عين لمن عدل وجزاء ذلك نور في الآخرة، كما إن الظلم ظلام في الدنيا وظلام في الآخرة :الظلم ظلمات يوم القيامة)[3]،وكان زيادة لهم في أكرمهم جعلهم في جهة يمينه تبارك وتعالى لأنها جهة تكريم وتشريف قال تعالى] وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ[4]. فإنها كانت إشارة إلى حقيقة مهمة تربط بين قضيتين، الخلق والأمر، وهي إن العدل أساس الخلق كله (وأن الميزان هو رمز العدل ووسيلة تحقيقه فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل والإصلاح لهما الآية)[5]، كما إن الله عزوجل خلق الخلق على مقتضى العدل والميزان فقد حرم الظلم على نفسه، قبل إن يحرمه على عباده، لما جاء في الحديث القدسي ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا))[6]، فكانت عقيدة الصحابة جل جلاله لأتقبل إلا بالعدل((فكانوا يلزمون أنفسهم بالعدل بين أحب الناس إليهم وابغضهم إليهم))[7].

(١) شعب الإيمان، البيهقي، ٤/ ٢٢٤، رقم ٢٤٣١.
(٢) صحيح مسلم، الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/ ٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥.
(٣) العدل قيمة الإسلام، بقلم الأستاذ، عبد الآخر حماد، ص ٢.
(٤) سورة الرحمن :٩ .
(٥) العدل قيمة الإسلام، ٣.
(٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧.
(٧) العدل قيمة الإسلام، ٣.

ولو أن تنظر لهذا المشهد العظيم الذي وقفه عبد الله بن رواحه رضي الله عنه، لما أمره الرسولﷺ (إن يذهب إلى خيبر ليرخص ثمارها يقدر ما تنتجه أشجارها وزرعها فيلزمهم بدفع شطر منه للرسول ﷺكما هو نص اتفاقهم معه، فشكوا إلى الرسول ﷺ شدة حرصه، وأرادوا إن يرشوه قال:(يا أعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس لي، ولأنتم ابغض إلي من عدتكم القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على ألا اعدل بينكم فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض)[1].

المطلب الثالث: - العدل يقتضي القوة والأمانة.

إن العدل يقتضي القوة والأمانة، وان العدل متلازم مع الأمانة ولم يكتف الإسلام بالوقوف عند حد العدالة بل زاد بالإحسان قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، فكان من أعظم العدل هو توحيد اللهعزوجل وإفراده بالعبودية، لأنه وحده الخالق المنعم ولذلك قال ابن عباسرضي الله عنه(العدل في هذه الآية هو توحيد الله عزوجل شهادة إن لا اله إلا الله والإحسان أداء الفرائض)[3]، وإن الأمم كلها تدعي إنها تقيم العدل، ولذا نجد العدل عند آخرين خلاف العدل عند غيرهم، فلهذا فقد عرفه سقراط على(انه قائم على إرادة الأقوى إي ما يفرضه الأقوياء على الضعفاء) [4]، ولكن عند استقراء هذه القراءة البسيطة نرى إن العدل في الإسلام وهو أعطاء كل ذي حق حقه، وانه ما أرسل رسله عزوجل إلا لأجل أن يقوم الناس

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٦ / ١١٤.
(٢) سورة النحل : ٩٠.
(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام / ٢٦٨.
(٤) العدل قيمة الإسلام، ص ٤-٥.

بالعدل ولا يتظالموا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[1]، كما ليعلم القارئ إن أعظم الظلم هو الشرك بالله عزوجل وذلك لقوله تعالى على لسان لقمان لابنه﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فإن العدل لا يسود إلا باتخاذ هذا الأصل وهو العدل بين الناس فكان هذا فرق الإسلام عن غيره لكونه اتخذ العقيدة الصحيحة من الرسول ﷺ فكانوا أولى من غيرهم بالعدل، فكان أهل الكتاب أذا اختلفوا تحاكموا إلى المصطفى ﷺ، ومن بعده إلى أصحابه فكانوا يحكمون بالحق والعدل والإحسان الذي نبع حكمهم من العقيدة، التي هي أصل التوحيد لله لأنه عندما يوحد الله عزوجل فأنه ليخاف أي شيء وهذا هو أصل العدل وجعله محصورا ً بالتقوى لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[3]، والتعليل ذلك والله أعلم إن العدل أصل الدين الإسلامي وهو الدستور الذي انبرت تحته جميع المواثيق والمعاهدات الدولية؛ لأنه الدستور الذي يكفل لحياتهم العيش بسلام، إذ انه إذا لم يوجد عدل لا يوجد سلام . أما مبدأ سقراط وغيره فإنه مبدأ خاطئ، لا يكفل للأحرار سلامهم وعقيدتهم، فلم تنعم جميع البلدان قبل الإسلام بالسلام والعدل إلا بعد إن دخلت عليهم جموع محمد ﷺ، فكان أساس عقيدتهم العدل ودفع الظلم، فمن كانت هذه عقيدته كانت نتيجته النصر والهيبة من الأعداء كما حدثنا التاريخ – وأسفار العدل فيه كثيرة – فإن الله عزوجل أدخل في محبته المقسطين العادلين وحفهم بعنايته فجعلهم لا يهابون غيره عزوجل، فزادهم بمحبته فأراد لهم القوة والنصر على

(١) سورة الحديد : ٢٥.
(٢) سورة لقمان: ١٣.
(٣) سورة المائدة : ٨.

الأعداء ووفقهم فكانت من زيادة توفيقهم، أن ثبتهم على العدل ومنع الظلم فكانوا من خير المحبين له والله اعلم .

المبحث التاسع : ـ طهارة القلوب والأجساد

المطلب الأول : ـ المتطهرون لغة واصطلاحاً

لغة:(المتطهرون بمعنى، لطهر نقيض النجاسة،والجمع أطهار، قد طهر يطهرُ وطهرَ طهراً وطهارةً المصدران عند سيبويه، وفي الصحاح، طهَّر وطهُر بالضمة طهارة فيهما وطهرته أنا تطهيراً، وتطهرتُ بالماء ورجل طاهر وطِهرٌ . عن ابن الأعرابي أنشد :

أضعت المال بالاحتساب حتى ... خرجت مبرئ طهر الثياب

وهو يدل على النظافة [1].

اصطلاحا :(عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة) [2].

المطلب الثاني : ـ الفرق بين المتطهرين والمطّهّرين .

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[4]، الآيتان الكريمتان ذكرتا صفتين للمؤمنين وان الله عزوجل أدخلهم ضمن محبته بسببهما، ففي سورة البقرة ذكر فيها(المتطهرين) والثانية اشتملت على الصفتين . . فقد ساق ابن الجوزي على قوله (المتطهرين) ثلاثة أقوال :

(١) لسان العرب ٤ / ٥٠٤ وينظر التعريفات ، ٨١.
(٢) التعريفات، ١٧٠/ ٨١.
(٣) سورة البقرة : ٢٢٢.
(٤) سورة التوبة : ١٠٨.

القول الأول : (المتطهرين) بالذنوب التي لحقت بهم فتطهروا منها .

القول الثاني : (المتطهرين) بالماء .

القول الثالث:(المتطهرين) من أدبار النساء؛ لأن ذكر النساء وطهارتهن وردت في سياق الآية الكريمة[1] وقيل(المتنزهين من جميع الأقذار وحمل التطهر بالماء لأنه أولى ما يكون أن يتطهر به الإنسان)[2]، ويتضح لنا أن المراد هو النظافة عن كل مستقذر والابتعاد عنها فكانت هذه الصورة الرائعة التي أولى لها الإسلام والقرآن الكريم اهتماما رائعا بالعناية بالنظافة الجسمية، الموصلة للنظافة القلبية كما انك تزيل الأوساخ العالقة بالجسم يجب أن تكون مطهرا من الذنوب والخطايا العالقة في قلب الإنسان.وإصلاحها بالعقيدة الصحيحة. أما صورة المحبة الأخرى المتعلقة بالطهر فهي صفاء القلوب بالعقيدة الصحيحة أي : تصفوا قلوبهم وتطهر من كل ذنب فتكون هي الداعية إلى محبة الله عزوجل أيضاً. وقد نص الاشاعرة، معنى هذه الآية من سورة التوبة ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ على أن(يرضى عنهم ويكرمهم ويعظم ثوابهم وهو المراد بمحبته جل جلاله لهم)[3]؛ وإنما حصرت الطهارة هنا بطهارة القلوب؛ لأن الآية القرآنية متصلة بالبنيان الأساس لقوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[4]، فكانت نياتهم صحيحة مع العمل القليل لعظم عزيمتهم ومحبتهم لله عزوجل ولرسوله ﷺ، فكانت همتهم أعلى، وسلامة قلوبهم أزكى، فكانت حياتهم طيبة

(١) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي ، ١٣٢.
(٢) روح المعاني ، الالوسي ٢ / ٥١٧ بتصرف.
(٣) روح المعاني / الالوسي ٦/ ٢٠.
(٤) سورة التوبة : ١٠٩.

وإرادتهم خالصة ومحبتهم صادقة، والخلاصة في ذلك أنه: إن الصورتين مختلفتين فأما الصورة الأولى التي يحبها الله عزوجل هي صورة التطهر من الأوساخ وكل مستقذر نهى الله عزوجل عنه فكانت هذه صفتهم الصادقة بالتطهر التي أحبهم الله عزوجل عليها ويؤيد ذلك قول الرسول(ﷺ) عندما نزلت الآية القرآنية في سورة البقرة (٢٢٢) سأل أهل قباء ما هذا الطهور الذي خصصتم به قالوا يا رسول الله ﷺ(ما منا من أحد يخرج من الغائط إلا غسل مقعدته)[١]، فكانت الخلاصة في ذلك:إن الصورتين مختلفتان. فأما الصورة الأولى التي يحبها الله عزوجل فهي صورة لآلة محبة الله عزوجل لهم بتطهرهم وكان الزيادة لهم بهذه المحبة ان وفقهم الى ترك جميع المستقذرات آياً كان صغرها وقبحها أما الصورة الأخرى التي أحبهم الله عزوجل عليها فهي ما قيست . كما إن طهارة أبدانهم كانت واضحة جلية وان بهذا التطهر أكرمهم الله عزوجل بان طهر قلوبهم وأدخل التقوى في قلوبهم وأصلح بالهم، فكانت هذه صورة محبة الله عزوجل لهم بطهارة قلوبهم من الذنوب والمعاصي فان طهارة قلوبهم لم تكن بكثرة عمل ولكن في سر دخل قلوبهم . وما يؤيد ذلك قول معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال (حين بعث إلى اليمن : يا رسول الله أوصني، قال: أخلص دينك يكفك العمل القليل)[٢]. فإن هذه الصورتين الحبيبتين إلى الرحمن من مقامات الصادقين .فكان حرصهم على تطهرهم وصدقهم بطهارة قلوبهم بتوفيق من الله جل جلاله.

(١) ينظر زاد المسير / ٦٠٦، وينظر علو الهمة / ١٨ -١٩

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، باب الرقاق، ٤ / ٣٤١، رقم ٧٨٤٤ ، وقال عنه حديث صحيح الإسناد.

الخاتمة

الحمد لله أولا ً وأخراً، والشكر له ظاهراً وباطنا ً على توالي نعمه وترادف مننه، ونسأله سبحانه وتعالى؛ لأن يوزعنا شكرها، قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

فقد تم لي هذا البحث المتواضع الذي أسأل الله عزوجل أن يجعله مفتاح خير لي ولمن يقرأه إن شاء الله، ولكن أريد أن أشير إلى بعض النقاط التي توصلت إليها من خلال كتابتي لهذا البحث، ولعل من نافلة القول أن نذكر هنا أن هذا البحث جاء موجزا يسيرا لكي يتسنى للقارئ قراءته، ولا يتشتت الموضوع جريا وراء التفصيلات التي شغلت عددا من كتب العلم، فيكون أكثر فائدة وأشد تركيزا في الصفات التي أحبها الله عزوجل .

١. أن أبواب محبة الله عزوجل مفتوحة لكل من طرقها بصدق وإخلاص .

٢. وإن كل إنسان مؤمن يستطيع أن يدخل إلى هذه الخيرات التي جعلها الله عزوجل سببا ً للتقرب إليه سبحانه وتعالى .

٣. كما أيّد البحث كلام السلف الصالح من علماء الأمة من أن المحبة صفة ثابتة لله تعالى كما بينا من طريق الكتاب والسنة المطهرة،وإن إرادته صفة أخرى من صفاته

(١) سورة النمل: ١٩.

سبحانه وتعالى .

٤. كما تبين لنا من خلال ما نقلناه من أقوال أهل العلم إن الله عزوجل إذا أحب العبد وفقه لجميع الطاعات فكانت إرادته عزوجل لهذا العبد التوفيق والصلاح في الدنيا و أن ينظر بنور الله عزوجل كرامة له لهذه المنزلة العظيمة والمرتبة الرفيعة، وهذا ما دلت عليه هذه الصور الجميلة التي مصدرها القرآن الكريم .

٥. وإن من أهم ما نشير إليه هو أن أكثر الآيات التي وردت في حب الله للعبد في سورة آل عمران وهي ما يقارب خمس آيات تجمع هذه الصفات العظيمة التي أوردناها من خلال البحث. ولعل اشتمال هذه السورة المباركة على هذا العدد الكبير من تلك الصفات ـ ولاسيما أنها ليست بأطول السور–سر من الأسرار التي أودعها الله تعالى في هذه السورة .

٦. وبينا إن الإنسان إذا لم تكن له عقيدة صحيحة يستند عليها لن يترتب على عمله أو الصفات التي يتحلى بها محبة الله عزوجل، حتى إن كانت تلك الصفات التي يحملها هي الصفات التي أحبها الله تعالى؛ لأن هذه المحبة لا أحد يوفق إليها إلا من سلمت سريرته وأدرك عقله ما يترتب عليه من التزام شروط وديمومة أعمال . وان الذي جعل لهذا البحث رائحة زكية بركة الشواهد من كتاب الله عزوجل وسنة المصطفى ﷺ، وكذلك الشواهد لأصحاب الرسول ﷺ وإيراد النظائر لها من أقوال العلماء، والسبب في ذكرها؟ لكي نصل إلى التجسيد الحقيقي الذي جسده السلف الصالح بالإتباع للكتاب والسنة، ثم ذكر بعض الفوائد العامة من خلال هذا البحث المتواضع وأني لأرجو أن تكون هذه الدراسة قد حفت بعناية من أراء العلماء ولاسيما ما حظي منهم بالشهرة الواسعة من خلال علمه وتلقت الأمة منهم بالاستحسان والقبول ونسأل الله عزوجل أن يجازي علماءنا خير الجزاء على جهودهم المباركة وأعمالهم الوفيرة في نصرة هذا الدين من كل

جوانبه وخاصة العقيدة انه سميع الدعاء وأهل الرجاء.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الميامين .

***

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم

١- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تقديم الشيخ حماد بن محمد الأنصاري – دار البصيرة – ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢- الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي/ ت ٩١١هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١ / ١٩٧٤ م.

٣- إحياء علوم الدين ، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي / ت ٥٠٥ وبذيله كتاب المغني عن جمل الاسفار في الاسفار، زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم العراقي -٨٠٦- صحح باشراف / عبد العزيز عزالدين السيروان – دار القلم - بيروت - لبنان .

٤- الأربعين في دلائل التوحيد / لعبد الله بن علي بن محمد الهروي ابو اسماعيل – ت٤٨١هـ- تحقيق د. علي بن ناصر الفقيهي– المدينه المنورة – ط١ – ١٤٠٤هـ.

٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة / لعز الدين بن الاثير ابي الحسن علي بن محمد الجزري – ت ٥٥٥-٦٣٠هـ - دار الفكر للطباعة والنشر – ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م

٦- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / للحافظ ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي الشافعي / ت- ٤٥٨ – دار الافاق –بيروت – لبنان

٧- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الشهير – بابن القيم الجوزية ت -٧٥١ / دار المعرفة بيروت - لبنان

٨- البحر المحيط / اثير الدين محمد بن يوسف المعروف بابي حيان الاندلسي الغرناطي – حققه الكتور عبد الرزاق المهدي – دار احياء التراث – بيروت – لبنان

٩- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور– مؤسسة التاريخ – بيروت – لبنان / ط١ / ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

١٠- التربية الروحية والاجتماعية في الاسلام / د. اكرم ضياء القمري – دار اشبيليا

١١- التسهيل لتأويل التنزيل / أبي عبد الله مصطفى بن العدوي – دار ابن رجب – ط٢ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- تفسير القرطبي / محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج القرطبي ابي عبد الله (ت ٦٧١ هـ)- تحقيق احمد عبد العليم البردوني – دار الشعب – القاهرة / ط٢ – ١٣٧٢ هـ

١٣- التفسير الكبير – تقي الدين ابن تيميه – تحقيق: د. .عبد الرحمن عميره– الكتب العلمية –بيروت .

١٤- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب / الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي / ٦٠٤هـ -دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

١٥- التعريفات / أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف –وزارة الثقافة والاعلام –العراق – بغداد

١٦- التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١) تحقيق د. محمد رضوان الداية – دار الفكر المعاصر بيروت – دار الفكر دمشق – ط١ – ١٤١٠ هـ

١٧- تنبيه الغافلين/ أبو الليث السمرقندي ، تحقيق:عبد الكريم العطا، المطبعة العالمية، ط١٤٢٢،١هـ-٢٠٠١م .

١٨- جامع البيان عن تاويل آي من القرآن / ابي جعفر محمد بن جرير الطبري –ت-٣٩٠ هـ -خرج احاديثه / ابراهيم محمد العلي – دار القلم .

١٩- الجهاد في سبيل الله / د. عبد الله بن احمد القادري – دار المنارة – جدة – ١٩٩١ .

٢٠- ديوان الأمام الشافعي/ ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت ١٥٠- ٢٠٤ هـ)، د. احمد احمد شتيوي.

٢١- روح المعاني – لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ت / ١٢٧٠هـ -ضبطه علي عبد البادي عطية – دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان .

٢٢- روضة المحبين ونزهة المشتاقين / شمس الدين بن ابي بكر ابن القيم الجوزيه ت٧٥١ هـ -دار الاسراء -عمان – الاردن ط ١ / ٢٠٠٤

٢٣- زاد المسير في علم التفسير / ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي –ت -٥٩٧ هـ دار ابن حزم – ط١ -١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٢٤- زاد المعاد في هدي خير العباد / حققه شعيب الأرنووط-عبد القادر الأرناووط – مؤسسة الرسالة

٢٥- سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد ابي عبد الله القزويني – ٢٧٥ هـ- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت

٢٦- سنن ابي داود / لسليمان ابن الاشعث ابي داود السجستاني الاسدي– ت٢٧٥هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر

٢٧- سنن البيهقي الكبرى / لااحمد بن حسين بن علي بن موسى ابي بكر البيهقي – ت ٤٥٨ هـ - تحقيق محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز– مكة المكرمة– ١٤١٤- ١٩٩٤ م

٢٨- سنن الترمذي / محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي – ت٢٧٩هـ - تحقيق محمد شاكر واخرون – دار احياء التراث العربي – بيروت

٢٩- السنن الكبرى / لاحمد بن شعيب ابي عبد الرحمن النسائي – ت ٣٠٣هـ- تحقيق د. عبد الغفار سليمان البذاري – وسيد كسروي حسن – دار الكتب العلمية –

بيروت –ط١ – ١٤١١ هـ - ١٩٩١م

٣٠- صحيح ابن حبان / محمد بن حبان بن احمد ابي حاتم التميمي اليستي – ت٣٥٤هـ - تحقيق شعيب الارنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م

٣١- صحيح البخاري / محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي – ت٢٥٦ – تحقيق مصطفى ديب البغا -دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – ط٣ – ١٤٠٧- ١٩٨٧م

٣٢- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري - ت ٢٦١هـ -تحقيق محمد فؤاد عبد الباق – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان

٣٣- صيد الخاطر / جمال الدين ابي فرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي –ت / ٥٩٧ هـ -حققه آدم أبو سنينة – دار الفكر – الاردن

٣٤- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين/ ابن القيم– دار العلوم الحديثة – مكتبة الشرق الجديد – بغداد – العراق.

٣٥- العدل قيمة الاسلام / بقلم الاستاذ عبد القادر حماد

٣٦- العقيدة الطحاوية / لأبن ابي العز الحنفي – حققها – محمد ناصر الدين دار الكتاب العربي - بغداد – ط١/ ٢٠٠٥.

٣٧- علو الهمة، محمد احمد اسماعيل –الدار العلمية – الاسكندرية – ط١ -٢٠٠٣

٣٨- الفتح الرباني والفيض الرحماني / عبد القادر الكيلاني / ٥١٦ هـ -دار المعرفة – بيروت – لبنا ن.

٣٩- فتح القدير –الجامع بين فني الهواية والدراية من علم التفسير تأليف / محمد بن علي بن محمد الشوكاني –ت/ ١٢٥٠ هـ -دار المعرفة – بيروت - لبنان.

٤٠- فقه القلوب / محمد بن ابراهيم التويجري – بيت الأفكار الدولية .

٤١- في ظلال القرآن، سيد محمد قطب، مصر - القاهرة .

٤٢- قواعد العقائد / الامام الغزالي –تحقيق موسى محمد علي – عالم الكتب

٤٣- قوت القلوب في معاملة المحبوب / الشيخ ابي طالب المكي / تحقيق سعيد نسيب مكارم – دار الفكر – بيروت – لبنان

٤٤- كتاب الاسماء والصفات / ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

٤٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل / لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – ت ٥٨٣هـ - طبعه وحققه / عبد الرزاق المهدي – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان –ج١ / ٦٨٠

٤٦- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري – دار الصادر – بيروت – لبنان – ط ١

٤٧- مجمع الزوائد / لعلي بن ابي بكر الهيثمي – ت٨٠٧هـ- دار الريان للتراث – القاهرة – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ

٤٨- مجموعة الفتاوى – تقي الدين احمد بن تيمية الحراني – ت ٧٢٨ هـ - خرج احاديثه – عامر الجزار – أسامه الباز – ط ٢ / ٢٠٠١

٤٩- المحرر الوجيز / لابي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي – وزارة الاوقاف

٥٠- مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير –الحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق – احمد محمد شاكر – اتمه انوار الباز دار الوفاء –ط١ / ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م

٥١- مختصر منهاج القاصدين – الأمام احمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ت ٦٨٩ هـ - ضبطه – علي حسن علي عبد الحميد- مكتبة الشرق الجديد – بغداد

٥٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد واياك نستعين / لابي عبد الله محمد بن ابي بكر ايوب ابن قيم الجوزية – دار حديث القاهرة –ت / ٦٩١-٧٥١

٥٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل – عبد الله بن احمد بن محمود النسفي – حقق احاديثه،يوسف علي بديوي،راجعه محي الدين مستو،دار الكلم الطيب،بيروت، ط١- ١٤١٩ه-١٩٩٨م

٥٤- المستدرك على الصحيحين/ لمحمد بن عبد الله ابي عبد الله الحاكم النيسابوري – ت٤٠٥هـ - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

٥٥- مستخرج أبي عوانة، ليعقوب بن إسحاق الاسفرائني، أبي عوانة – دار المعرفة – بيروت.

٥٦- مسند الامام احمد، لاحمد بن حنبل ابي عبد الله الشيباني – ت ٢٤١هـ مؤسسة قرطبة – مصر .

٥٧- مسند الروياني، لمحمد بن هارون الروياني، أبي بكر، تحقيق ايمن علي ابو يماني – مؤسسة قرطبة – القاهرة – ط١ – ١٤١٦هـ .

٥٨- مصنف ابن ابي شيبة / لابي بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي – ت٢٣٥هـ تحقيق كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشيد – الرياض – ط١ – ١٤٠٩هـ.

٥٩- المعجم الاوسط / ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني (ت ٣٦٠) تحقيق / طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني- دار الحرمين – القاهرة (١٤١٥هـ)

٦٠- منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابة الفتح – محمد اسحاق كندو – مكتبة الرشيد – ط١ - ١٩٩٨ م.